محمد أبو زهرة

توفي في مصر يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول ١٣٩٤هـ - ١١ نيسان ١٩٧٤م الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهـــرة عن ستة وسبعين عاماً من العمر

والأستاذ محمد أبو زهرة علم من أكبر أعلام الشريعة في عصرنا الحاضر . ولقد ترك من بعده آثاراً علمية ممتازة في الفقه والأصول ،كما ترك سلسلة من الكتب المهمة عن الأئمة المجتهدين ومذاهبهم ، وعدداً كـــبيراً مـــن البحـــوث والمقالات التي تكشف عن تجرده وسعة علمه وغيرته على الإسلام وجهاده المتواصل من أجله لا يخاف في الله لومـــة لائم .

وإذا كان عصرنا قد عرف كثيراً من العلماء الذين وضعوا علمهم (وما يزالون يضعونه) في خدمة الـــسلطان (أيِّ سلطان) ، وطلبوا به (وما يزالون يطلبون) الدنيا لا الآخرة ، فلقد عرف هذا العصر أيضاً علماء كانوا أكـــبر مـــن الحكام وأكبر من الدنيا ، فآثروا جانب الله عزَّ وجلَّ واستقاموا على طريق الحق لا ينحرف بهم عنه إغراء ولا وعيـــد ولا اضطهاد .. ومن هؤلاء الأعلام المخلصين فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ محمد أبو زهرة .

ولقد وصف لنا رحمه الله بعض ما لاقاه في سبيل الله ، وبعض ما ابتلاه الله تعالى به في سنواته الأخيرة في مقدمـــة كتابه : (المعجزة الكبرى القرآن) الذي فرغ من كتابته في أول رمضان سنة ١٣٩٠هـ - ٣١ تشرين أول/اكتوبر سنة ١٩٧٠م

قال رحمة الله عليه :

(وإنّا نحمد الله تعالى على ما اختبرنا به في أثناء كتابة ما كتبناه . لقد اختبرنا الله تعالى في أول كتابة ما كتبنا عن القرآن فانقطعنا عن الاتصال بالصحف السيارة ، نخاطب المسلمين من فوق منبرها ، وقُطعنا عن المجلات العلمية نوجه الفكر الإسلاميّ من طريقها ، وعن كل طرق الإعلام فلا نصل إليها ، وكان الهمّ الأكبر أن انقطعنا عن دروســـنا ، وعن المحاضرات العامة .

ولكن القرآن آنسنا في وحدتنا ، وأزال غربتنا ، فكان العزاء النفسي والجلاء الروحي ، واختبرنا الله تعالى بالـــضر كما اختبر نبيه أيوب إذ قال :

﴿ ... **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٣]

وأنه وإن تشابه المرض فإنه يختلف المقام فهذا نبي الله يوحى إليه ، ونحن من الأتباع ، ونرجو أن تكون من الأبرار في اتباع النبيين ، لزمنا المرض المقعد نحو شهرين ، فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكثر من ألم المرض الممض ولقد منّ الله تعالى بالشفاء ، فخرجنا من الداء العقام ، وما منعتنا وعثاء المرض فعدنا إلى القرآن ، نقتبس من نوره ، ونعبق من عرفه ، فهو أنس المستوحش ، وسمير المستغرب ، فآنسنا بعد طول الغياب . ومنحنا الله تعالى به العافية ، فوقفنـــا لأن نقطع كل ما أردنا عرضه في مدة المرض ، وكأنّا في مجموع ما بلينا في طول المدة أصحاء في أبداننا ، لأنـــه ســـلمت نفوسنا من السقام ، بفضل القرآن .

واختبرنا الله تعالى من بعد بِهَمٍّ واصب بأن أصاب رفيقة حياتي كسر أقعدها ، وأقعدني بالغمّ الشديد والكـــرب البعيد الأثر ، العميق في النفس .

ولكن أنس القرآن خفف همي ، وكشف غمي ، لأنه ملأها إيماناً بقضاء الله وقدره ، ووضع في نفوسنا الـــصبر الجميل ، من غير أنين ، ولا ضجر ، ولكن برضا لما أراد ، وهو اللطيف الخبير ، وهو الشافي في المـــرض والجـــابر في الكسر ، والمعين في الشدة ، ولا رجاء في غيره .

هذه أمور جرت لنا ، ونحن نكتب في المعجزة الكبرى ، فما عوّقت ، وما منعت وما أيأست) .

رحم الله الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وعوّض المسلمين بأمثاله من العلماء المخلصين المجاهدين الذين تشتد إليهم الحاجة يوماً بعد يوم ..

وإنا لله وإنا إليه راجعون